بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وآله الطيبين الطاهرين

واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

قال الله تبارك وتعالى: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}** [سورة البقرة، 3].

والبحث حول الفقرة الشريفة من الآية الكريمة وهي قوله عزّ وجلّ: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}**، في عدّة مضامين:

المضمونُ الأوّل: بيان المعنى اللغوي للإيمان.

وقد أشار إلى هذا المعنى اللغوي السيد الطباطبائي (قدس سره الشريف) في [الميزان في تفسير القرآن، منشورات اسماعليان، ج1، ص45] حيث قال: (**الإيمان تمكن الاعتقاد في القلب مأخوذ من الأمن كأن المؤمن يعطي لما آمن به الأمن من الريب والشك وهو آفة الاعتقاد**).

ويمكن التعليق على كلامه (قدس سره): بأنّ اشتقاق الإيمان من الأمن صحيحٌ لغةً، ولكن إرجاع الإيمان إلى: (أن المؤمن يعطي لما آمن به الأمن من الريب والشك) **محلّ تأملٍ**: فإنّ متعلق الإيمان أمورٌ علمية وهي عبارة عن مجموعةٍ من المفاهيم التي ترتسم في ذهن الإنسان فلا معنى لإعطائها الأمن؛ فإنّ الأمن والخوف أو الأمن والريب متقابلان تقابل المَلَكة والعدم ولا يكون الشيء قابلاً لأحدهما إلّا بقبول الآخر، فلا يقال هذا الشيء أُعطي الأمن إلّا إذا كان قابلاً للريب، والمفاهيم العلمية لا تقبلُ الخوف والريب كي تقبل الأمن، فلا معنى لإعطاء هذه المفاهيم العلمية الاعتقادية الأمن؛ لأنّه ليس من شأنها أنْ تكون في حال أمنٍ و حال ريبٍ.

والصحيح: أنّ المؤمن بإيمانه يعطي للقلب الأمن من الريب والشك – لا للمفاهيم التي آمن بها – فإنّه إذا آمن بهذه المعتقدات الحقّة وعقد قلبه عليها أوجد في قلبه استقراراً وثباتاً، فالإيمان إيجادٌ مثل الإعطاء والإثمار والإيقان بمعنى إعطاء اليقين وإعطاء الثمر، فكذلك الإيمان هو عبارةٌ عن إعطاء القلب حالةً من الأمن وهي الأمنُ من الريب والشك، وإنْ كان الموضوع هو المفاهيم الاعتقادية، إلّا

أنّ هذه المعتقدات ذات وجودين: وجود تصوري ووجود تصديقي، وهي بلحاظ وجودها الثاني يكتسب القلب الأمن من الريب فالمعطى هو القلب من جهتها.

ولا يبعدُ أيضاً صحّة ما ذكره السيد السبزواري (قدس سره الشريف) في [مواهب الرحمن في تفسير القرآن، مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام)، ج1، ص64 – 65] بقوله: (**الإيمان من الأمن سمي به لكونه موجبا لأمن المؤمن من العقاب في الآخرة قال تعالى: {فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلا يَخافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً}** [سورة الجن، الآية: ١٣]). فإنّ الإيمان يزيل الخوف من الآخرة.

لكن أمن القلب مِن الآخرة متفرعٌ على أمنِ القلب من الريب والشك.

المضمونُ الثاني: المعنى الواقعي والحقيقي للإيمان.

وهو ما يقتنص من الآيات القرآنية الكريمة والروايات الشريفة.

فأمّا من الآيات القرآنية فنحو:

الآيةُ الأُولى: قول الله تبارك وتعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا}** [سورة النساء، 136].

الآيةُ الثانية: قوله عزّ وجلّ: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}** [سورة الأنفال، 2].

وأمّا من حيث الروايات الشريفة:

فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) كما في الكافي: (**عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ مَعْرُوفٍ، عَنْ عَبْدِالرَّحْمنِ بْنِ أَبِي نَجْرَانَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِالرَّحِيمِ الْقَصِيرِ، قَالَ :كَتَبْتُ مَعَ عَبْدِالْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ إِلى أَبِي عَبْدِالله (عليه السلام) أَسْأَلُهُ عَنِ الْإِيمَانِ: مَا هُوَ؟**

فَكَتَبَ إِلَيَّ مَعَ عَبْدِالْمَلِكِ بْنِ أَعْيَنَ: سَأَلْتَ ـ رَحِمَكَ اللهُ ـ عَنِ الْإِيمَانِ؛ وَالْإِيمَانُ هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَعَقْدٌ فِي الْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ، وَالْإِيمَانُ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ، وَهُوَ دَارٌ، وَكَذلِكَ الْإِسْلَامُ دَارٌ، وَالْكُفْرُ دَارٌ، فَقَدْ يَكُونُ الْعَبْدُ مُسْلِماً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِناً، وَلَا يَكُونُ مُؤْمِناً حَتّى يَكُونَ مُسْلِماً، فَالْإِسْلَامُ قَبْلَ

الْإِيمَانِ وَهُوَ يُشَارِكُ الْإِيمَانَ... ألخ). [الكافي، الشيخ الكليني، طبعة دار الحديث، ج3، كتاب الإيمان والكفر، الباب16 بَابٌ آخَرُ مِنْهُ وَفِيهِ أَنَّ الْإِسْلَامَ قَبْلَ الْإِيمَانِ، ح1].

والمستفاد من هذه النصوص بضم مجموعة من الروايات التي هي في مقام تحديد الإيمان وبيان معالمه عدّة ركائز وهي الإقرار التفصيلي بالمعتقدات الناشئ عن إذعان قلبي ثابت مستقر قابل للتكامل.

وبيان ذلك بالسؤال التالي:

ما هو الفرق في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا} بين "آمَنُوا" و "آمِنُوا"؟

والجواب: هنا محتملاتٌ أربعة:

المحتملُ الأوّل: الخروجُ من الإجمال إلى التفصيل.

كأنّه قال: يا أيُّها الذين يملكون إيماناً إجماليّاً عليكم بتحويل هذا الإيمان الإجمالي إلى إيمانٍ تفصيلي، كما يظهر من ذكر المصاديق في قوله تعالى: **{بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ}**.

المحتملُ الثاني: الخروجُ من عالم المفاهيم المبرهنة إلى عالم الإقرار والإذعان.

وبيانه: أنّ الإيمان ليس عبارة عن معلومات، ولا حفظ براهين في علم الكلام أو علم الفلسفة؛ بل الإيمانُ حالةٌ نورانيةٌ في القلب، وإلّا فقد يكون مَن يحمل المعلومات الكثيرة عارفاً بالبراهين العديدة على إثبات وجود الله تبارك وتعالى وعقيدة النبوة والإمامة هو في مقام شكٍ وريبٍ من هذه المعلومات؛ بل الإيمان ثبات وركون في القلب، ولذلك قال الله تبارك وتعالى: **{وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا}** [سورة النمل، 14] أي: لا يكفي أنّ في أنفسهم استيقاناً بمجموعةٍ كبيرةٍ من المعلومات ما داموا يجحدون بها، بل لابُدّ في الإيمان من الإقرار والإذعان، أي: مطاوعة القلب للعقل، فالعقلُ دوره حمل المعلومات وأمّا القلب فهو النقطة المهمة في إيمان الإنسان، وهذا هو المعبر عنه في الآية الشريفة بـ "فقه القلب" قال الله عزّ وجلّ: **{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}** [سورة الأعراف، 179]، حيث قال: "لهم قلوب لا يفقهون بها"

ولم يقل: "لهم عقول"؛ فإنّ العقول شأنها حملُ المعلومات لكن الفقه وهو الحالة النورانية المقترنة بالإقرار والإذعان من شأن القلب، وقال تبارك وتعالى: **{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}** [سورة الحجرات، 14] فما لم تصل المعلومة إلى حد الإقرار والإذعان القلبي فليست بإيمانٍ.

والنتيجة: أنّ المنظور في الآية المباركة: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}** أي: يا أيُّها الذين آمَنوا بعقولهم أمِنُوا بقلوبكم من أجل أنْ يتحول الإيمان إلى إقرارٍ قلبي.

المحتملُ الثالث: الخروجُ من حالة التزلزل إلى حالة الثبات.

والخروج من حالة التزلزل إلى حالة الثبات بتعاضد الجوارح والجوانح، بمعنى: أنْ يكون الإنسان كُلّه مع الإيمان الذي هُوَ الْإِقْرَارُ بِاللِّسَانِ، وَعَقْدٌ فِي الْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ، وهذا هو المعنى الواقعي للإيمان، أي: أنّ الإيمان هو الذي أذعن به القلب وأقر به اللسان وخضعت له الجوارح بالعمل، وهو ما تشير إليه مجموعة من الروايات الشريفة:

منها: ما جاء في بحار الأنوار: (ب: **معاوية بن حكيم، عن البزنطي قال: وعدنا أبو الحسن الرضا (عليه السلام) ليلة إلى مسجد دار معاوية فجاء فسلم (عليه السلام) فقال: إن الناس قد جهدوا على إطفاء نور الله حين قبض الله تبارك وتعالى رسوله (صلى الله عليه وآله) وأبى الله إلا أن يتم نوره وقد جهد علي بن أبي حمزة على إطفاء نور الله، حين مضى أبو الحسن (عليه السلام) فأبى الله إلا أن يتم نوره وقد هداكم الله لأمر جهله الناس فاحمدوا الله على ما من عليكم به.**

إنّ جعفراً (عليه السلام) كان يقول: (فمستقر ومستودع) [سورة الأنعام، 98] **فالمستقر ما ثبت من الإيمان والمستودع المعار، وقد هداكم الله لأمر جهله الناس فاحمدوا الله على ما من عليكم به).**

[بحار الأنوار، العلامة المجلسي، طبعة دار إحياء التراث، ج49، ص262 – 263].

والمنظور في الرواية الشريفة: أنّ ما صدر من الإمام الرضا (عليه السلام) في مسجد إسمه "مسجد دار معاوية" كان بعد موجة الواقفية الذين جحدوا بإمامته (صلوات الله وسلامه عليه)، والمرادُ بـ "علي بن أبي حمزة" البطائني، والمراد من قوله (عليه السلام): **(فاحمدوا الله على ما من عليكم به)** أي: أنّكم ممن حظي بالإيمان المستقر – لا المستودع –.

ومنها: ما في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليٍّ (عليه السلام) أنّه قال: (**فمن الإيمان ما يكون ثابتاً مستقراً في القلوب ومنه ما يكون عواري بين القلوب والصدور إلى أجل معلومٍ فإذا كانت لكم براءةٌ من أحدٍ فقفُوهُ حتّى يحضُرَهُ الموتُ فعند ذلك يقعُ حدُّ البراءة**). [نهج البلاغة، الشريف الرضي، مركز البحوث الإسلامية، تحقيق: صبحي الصالح، ص279].

فإنّه قد يظهر حال شخص مدّةً من الزمان على أنّه من المؤمنين أو من المدافعين عن العقيدة ثمّ يختم أمره بالانقلاب على عقبيه، فهذا لم يعطَ الإيمان المستقر وإنّما أُعطي الإيمان العارية، وحاله يتبين حين الموت.

ومنها: ما روي عن الإمام الكاظم (عليه السلام) كما في الكافي: (**عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ حَفْصِ بْنِ الْبَخْتَرِيِّ وَغَيْرِهِ، عَنْ عِيسى شَلَقَانَ، قَالَ: كُنْتُ قَاعِداً، فَمَرَّ أَبُو الْحَسَنِ مُوسى (عليه السلام) وَمَعَهُ بَهْمَةٌ، قَالَ: قُلْتُ: يَا غُلَامُ، مَا تَرى مَا يَصْنَعُ أَبُوكَ، يَأْمُرُنَا بِالشَّيْءِ، ثُمَّ يَنْهَانَا عَنْهُ، أَمَرَنَا أَنْ نَتَوَلّى أَبَا الْخَطَّابِ، ثُمَّ أَمَرَنَا أَنْ نَلْعَنَهُ وَنَتَبَرَّأَ مِنْهُ؟**

فَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ (عليه السلام) ـ وَهُوَ غُلَامٌ ـ : إِنَّ اللهَ خَلَقَ خَلْقاً لِلْإِيمَانِ لَازَوَالَ لَهُ، وَخَلَقَ خَلْقاً لِلْكُفْرِ لَازَوَالَ لَهُ، وَخَلَقَ خَلْقاً بَيْنَ ذلِكَ، أَعَارَهُمُ الْإِيمَانَ، يُسَمَّوْنَ الْمُعَارِينَ، إِذَا شَاءَ سَلَبَهُمْ؛ وَكَانَ أَبُو الْخَطَّابِ مِمَّنْ أُعِيرَ الْإِيمَانَ.

قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلى أَبِي عَبْدِاللهِ (عليه السلام)، فَأَخْبَرْتُهُ مَا قُلْتُ لِأَبِي الْحَسَنِ (عليه السلام) وَمَا قَالَ لِي، فَقَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ (عليه السلام): إِنَّهُ نَبْعَةُ نُبُوَّةٍ). [الكافي، الشيخ الكليني، طبعة دار الحديث، ج4، كتاب الإيمان والكفر، الباب182 بَابُ الْمُعَارِينَ، ح3].

فقوله (عليه السلام): (**يُسَمَّوْنَ الْمُعَارِينَ، إِذَا شَاءَ سَلَبَهُمْ**) أي يأتي يوم يسلبهم الإيمان؛ لأنّه لم يكن راسخاً ولم يكن عن إقرارٍ وإذعانٍ، فكان مجرد معلومات وبراهين ثمّ تبخر لأنّه لم يكن عن إقرارٍ وإذعان.

المحتملُ الرابع: التكامل في درجان اليقين.

وبيانه: أنّ المراد بقوله تبارك وتعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}** هو التكامل في درجات الإيمان المساوق للتكامل في درجات اليقين، فإنّ لليقين درجات كما نصت عليه سورة التكاثر

بقوله تبارك وتعالى: **{أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}** [سورة التكاثر، 1 – 8].

وهذا ما أشار إليه قوله تبارك وتعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}** [سورة الأنفال، 2].

المضمونُ الثالث: خصائص الفقرة الشريفة من الآية الكريمة وهي قوله سبحانه وتعالى: {يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}.

فإنّ لهذه الفقرة عدّة خصائص:

الخصوصيةُ الأُولى: التقديم على بقية معالم الإيمان.

وبيان ذلك: أنّ الله عزّ وجلّ قد جعل الإيمان بالغيب هو المفتاح، وفرع عليه بقية معالم الإيمان؛ حيث قال تبارك وتعالى: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}** [سورة البقرة، 3 – 4].

فالوجه في التقديم هو التفريع، تفرع المظهر على الجوهر، فإنّ إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وغير ذلك هي مظاهرٌ للإيمان، والإيمانُ الحقيقي هو ذلك الإقرار والإذعان بالغيب، فهي متفرعةٌ عليه تفرع المعلول على العلّة، كما أشار إلى ذلك السيد السبزواري (قدس سره الشريف) في [مواهب الرحمن في تفسير القرآن، مؤسسة أهل البيت (عليهم السلام)، ج1، ص65 – 66] حيث قال: **(نعم؛ الإيمان أمر تشكيكي وأنه كسائر الصفات النفسانية التي لها مراتب كثيرة كمالا ونقصا وشدة وضعفا كما سيأتي ويختلف باختلاف متعلقه من القلب واللسان وعمل الجوارح وأعلى مراتبه ما بينه تعالى في قوله: (وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمالَ عَلى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبى وَالْيَتامى وَالْمَساكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقابِ وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذا عاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْساءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)** [سورة البقرة، الآية: 177].

ومن ذلك يعلم أن الإيمان على أنحاء أربعة: (الأول): الإيمان الانتسابي فقط بأن يرى الشخص نفسه في بلاد المسلمين منسوباً إليهم بلا اعتقاد ولا عمل. (الثاني): الإيمان الاعتقادي فقط من دون عمل. (الثالث): العمل الظاهري من دون الاعتقاد. (الرابع): الاعتقاد القلبي والعمل على طبق ما اعتقد، وما يصدق عليه الإيمان حقيقة هو الأخير وهو النافع للنفس الإنسانية في طريق استكماله وعوامله الأخروية، وسائر الأقسام إنما أطلق عليها الإيمان بالعناية للتسهيل. نعم لا يطلق عليه الكافر إلّا إذا انتفى منه الاعتقاد والعمل والإقرار، ومع انتفاء العمل بالأركان يكون فاسقا إن لم يكن منكرا لضروري من ضروريات الدين فمن ترك واجبا وارتكب محرما فهو ليس بمؤمن من هذه الجهة وإن كان مؤمناً من جهة أخرى قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) [الكافي، الشيخ الكليني، طبعة دار الحديث، ج3، كتاب الإيمان والكفر، الباب17 بابٌ، ح1]، **وعن الصادق (عليه السلام) (فأما الرشا في الحكم فهو الكفر بالله العظيم)** [الكافي، الشيخ الكليني، طبعة دار الحديث، ج9، كتاب المعيشة، الباب42 باب السحت، ح3]).

وتوضيح كلامه: أنّ مضمون هذه الآية الشريفة لا يتنافى مع ما ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) وما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام)، فقوله: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)** فإنّ الزنا يتنافى مع درجةٍ من درجات الإيمان، لا مع أصل الإيمان، كما أنّ أخذ الرشا يتنافى مع درجةٍ من درجات الإيمان، لا مع أصل الإيمان.

الخصوصيةُ الثانية: التعبير بالفعل المضارع في قوله تبارك وتعالى: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}**.

إنّ التعبير بالفعل المضارع "يؤمنون" - لا بالفعل الماضي "آمنوا" – إشارةٌ إلى أنّ الإيمان الحقيقي صفةٌ متقومةٌ بالاستمرار والثبات، لا تقبلُ الانقضاء ولا الزوال، وهو ما أشير إليه في قوله تبارك وتعالى: **{يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ}** [سورة إبراهيم، 27]، كما ورد في بعض الروايات الشريفة أنّ القول الثابت هو ولاية الإمام أمير المؤمنين عليّ (صلوات الله وسلامه عليه) كما في تفسير البرهان: **(ومن طريق المخالفين: ما رواه النطنزي، عن ابن عبّاس، في قوله: (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثّابِتِ)، قال: بولاية عليّ بن أبي**

طالب (عليه السلام)). [البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني، مؤسسة البعثة – قم، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، ج3، ص305].

الخصوصيةُ الثالثة: إنّ الإيمان في الآية الكريمة تعلّق بالغَيْب، حيث قال تعالى: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}** فما هو المقصود بـ "الباء"؟

هنا أربعة محتملات في "الباء".

المحتملُ الأوّل: أنّ "الباء" باء الظرفية.

كما في قوله تبارك وتعالى: **{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}** [سورة آل عمران، 123] أي: في بَدْرٍ، وكما في قوله تبارك وتعالى: **{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ}** [سورة آل عمران، 96] أي: في بَكَّة "مكة".

فقوله عزّ وجلّ: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}** يعني الذين يؤمنون في حال الغَيْب.

ومعنى ذلك: أنّ الله تبارك وتعالى يمدح المؤمنين بأنّهم لا يؤمنون علناً ويكفرون سراً، بل إنّما يؤمنون في حال الغَيْب، أي: في حال السر بينهم وبين ربهم فضلاً عن حالة العلن، كما قال تبارك وتعالى: **{مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ}** [سورة ق، 33] أي: خشيه حال الاستتار، وقال تبارك وتعالى: **{لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ}** [سورة المائدة، 94] أي: أنّه إذا كان بينه وبين ربه يخاف فلا يفعل المعصية فهذا هو الإيمان الحقيقي المتقوم بالخوف من الله تبارك وتعالى، وهذا التقييد لإخراج المنافقين الذين يُظهرون الإيمان في العلانية ويكفرون بالدين في حالة الاستتار، وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى نهجهم في نفس سورة البقرة بقوله تبارك وتعالى: **{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ * إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ}**

[سورة البقرة، 8 – 16]، فإنّ قوله تعالى: **{فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ}** يؤكد ما سبق من أنّ موطن الإيمان هو القلب، والشاهد في الآية الشريفة: **{إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ}**.

المحتملُ الثاني: أنّ المراد بـ "الباء" باء السببية.

والمراد بقوله سبحانه وتعالى: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}** أي: أنّ السبب في إيمانهم هو الغَيْب، بمعنى: أنّه لولا توفيق الله تعالى ورحمته بهم لما انغرس الإيمان في قلوبهم، فمنشأ إيمانهم توفيق الله ومدده عزّ وجلّ، فالغَيْب سببٌ لإيمانهم، كما في قوله تبارك وتعالى: **{إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى}** [سورة الكهف، 13] أي: أنّ الله سبحانه وتعالى حفهم بالتوفيق والرحمة وأسبغ على قلوبهم الهداية، وقال تبارك وتعالى: **{أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ}** [سورة المجادلة، 22] فالذي كتب الإيمان هو الغَيْب، وهو الله تبارك وتعالى.

المحتملُ الثالث: أنّ المراد بـ "الباء" باء الأدوية والآلية.

نظير أنْ تقول: "كتبتُ بالقلم"، أي: بهذه الأداة، ونظير قوله سبحانه وتعالى: **{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}** [سورة العلق، 1 – 5] أي: الذي علم بواسطة القلم، فـ "الباء" هنا باء الأدوية والآلية.

والمقصود بذلك: أنّهم أمَنوا بالغَيْب يعني: أنّهم آمَنوا بواسطة قلوبهم، والغَيْبُ كنايةٌ عن القلب؛ باعتبار أنّ القلب قوةٌ خفيةٌ، وليس هذه العضلة التي وظيفتها ضخ الدم إلى الدماغ وتحريك الدم في الأوردة؛ وإنّما المقصود بالقلب هي تلك القوة التي تحمل الإذعان والإقرار والتصديق، وتلك القوة قوةٌ غيبيةٌ خفيةٌ عبر عنها هنا بعنوان "الغَيْب"؛ للإشارة إلى أنّ الإيمان إنّما يكون بهذه الأداة ألّا وهي أداة القلب، كما قال الله تبارك وتعالى: **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ}** [سورة المائدة، 41] وهو ما سبق في الروايات الشريفة من أنّ الإيمان على قسمين: مستقرٌ ومستودعٌ، ثابتٌ ومعارٌ، فالمعار لَمْ يدخل القلب، والمستقر الثابت هو الذي دخل القلب.

المحتملُ الرابع: أنّ المراد بـ "الباء" باء التعدية.

وبيان ذلك: إنّ الإيمان إذا تعدى بـ "الباء" فهو بمعنى التصديق، كقولنا: "آمنتُ به" أي: صدقت، وإذا تعدى بـ "اللام" فهو بمعنى القبول، كقولنا: "آمنتُ لك" أي: قبلتُ ما تقوله.

وقد أشار الله تبارك وتعالى إلى هذين المعنيين في قوله عزّ من قائل: **{وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}** [سورة التوبة، 61] فقوله: **{يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ}** هو فعلٌ واحدٌ تعدى بحرفين بـ "الباء" و "اللام"، ففي تعديته بـ "الباء" **{يُؤْمِنُ بِاللَّهِ}** بمعنى التصديق، وفي تعديته بـ "اللام" {وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} بمعنى القبول، أي: يقبل قولهم إمّا قبولاً واقعياً أو قبولاً ظاهرياً كما هو من معالم خُلُقه الرفيع الذي مدحه الله تبارك وتعالى بقوله: **{وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}** [سورة القلم، 4]، وقال تبارك وتعالى: **{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}** [سورة التوبة، 128].

وبناءً على ذلك، فالمقصود بالآية الشريفة: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ}** أي: يصدقون بالغيب، وهذا هو الظاهرُ من بين المعاني التي سبق ذكرها؛ فإنّ سياق الآيات الكريمة هو سياق التصديق بالغيب؛ لأنّه قال تبارك وتعالى بعد ذلك: **{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ}** [سورة البقرة، 4].

الخصوصيةُ الرابعة:

قد يُقال: إنّ الإيمان بالشيء فرعُ المعرفة به، فكيف يتعلّق الإيمانُ بالغَيْب وهو غَيْب، إذ كيف يتعلّق الإيمان بشيءٍ مجهول، فتعدية الإيمان للغَيْب مشتملةٌ على نوعٍ من التهافت؛ لأنّ الإيمان فرعُ المعرفة، والغيبُ يعني الغموض والجهالة، فكيف يتمّ الإيمان بالغَيْب مع أنّه أمرٌ غامضٌ مجهولٌ؟

والجواب عن ذلك بأحد وجهين:

الوجهُ الأوّل: أنّه يكفي في الإيمان بالشيء المعرفةُ الإجمالية، ولا يتوقّف الإيمان به على المعرفة التفصيلية، نظير إيمان الإنسان بعجائب الفضاء وهو لا يعلم بتفاصيلها، أو إيمانه بعظمة العلماء والمفكرين وإنْ لَمْ يكن عالماً بتفاصيل فكرهم، فالإيمان لا يتوقّف على المعرفة التفصيلية.

الوجهُ الثاني: بما أنّ الإيمان مِن صفات النفس، فمتعلّق الإيمان ما هو حاضر في النفس أيضاً، بحيث يكون الإيمانُ به من سنخ العلم الحضوري – لا من سنخ العلم الحصولي –، كإيمان الإنسان بحبه لأبويه، حيث يُؤمنُ الإنسانُ أنّ لديه حباً لأبويه وإيمانُه بحبه لهما من قبيل العلم الحضوري، أو إيمان الإنسان بالصور التي ترتسم في ذهنه، فإنّ المذكور في علم المنطق أنّ المعلوم بالعرض يكون العلمُ به علماً حصولياً؛ لأنّه علمٌ بواسطة الصورة، وأمّا المعلوم بالذات وهو الصورة نفسها فالعلم بها علمٌ حضوري؛ لأنّها حاضرةٌ بنفسها لدى العالم.

كذلك الإيمان، فإنّه ليس المقصود بالإيمان بالغَيْب الإيمان بالمفاهيم كي يقال بأنّ المفاهيم مجهولة فكيف يتعلّق الإيمانُ بها؛ بل المقصود بالإيمان بالغَيْب هو الإيمان بذاك الوجود الفطري الذي أودعه الله سبحانه وتعالى في قلب الإنسان ويجدُهُ الإنسانُ وجداناً حضورياً، كما قال تبارك وتعالى: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}** [سورة الروم، 30]، وقال تبارك وتعالى: **{وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}** [سورة الشمس، 7 – 8]، فإنّ الإنسان بوجدانه يجد نوراً فطرياً منغرساً في قلبه، وإيمانُهُ به من قبيل العلم الحضوري – لا من قبيل العلم الحصولي –، فهو حاضرٌ وليس بغائب.

فإنْ قلت: لماذا سمي بالغَيْب وهو حاضر؟

قلتُ: إنّ هذا من باب اختلاف الحمل كما يقال في المنطق، هو بالحمل الأوّلي غيبٌ، لكنه بالحمل الشائع حضورٌ في النفس، فالإيمان به إيمانٌ بما هو حاضرٌ – لا إيمانٌ بما هو غائب –.

الخصوصيةُ الخامسة: لماذا جُعِلَ متعلّق الإيمان هو عنوان "الغَيْب" ولَمْ يجعل عنوانٌ آخر؟

فيقال: بما أنّ المقصود بـ "الغَيْب": هو (الله) و (رسله) و (ملائكته) و (ما أنزل من الكتب على الأنبياء والمرسلين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) و (الأئمة الطاهرين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) فلماذا عبر بـ "الغَيْب" ولَمْ يعبر بالعنوان التفصيلي، بأنّ يقول الذين يؤمنون بالله ورسله وكتبه وملائكته؟

والجواب عن ذلك: إنّ مِن أركان الإيمان التسليم المطلق، كما قال الله تبارك وتعالى: **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}**

[سورة النساء، 65]، فلا يتحقّق إيمانٌ واقعيٌ إلّا بالتسليم المطلق، والتسليمُ المطلق لا يتحقّق إلّا إذا اقترن بالتفويض، بأنْ يقول الإنسان: "إنّ ما أجهله أكثر مما أعلمه، ومع ذلك فأنا مؤمنٌ به ومسلمٌ به ومفوضٌ ذلك كله إليه تبارك وتعالى".

أو يقول: "إنّ جهلي لا أثر له على تصديقي وإيماني، فأنا سلمتُ تسليماً مطلقاً وفوضتُ قلبي لله تفويضاً مطلقاً، وإنْ كان ما أجهله أكثر مما أعلمه".

ومقتضى ذلك: أنّ الجهل بالصفات والخصائص والتفاصيل للمعتقدات قد يكون دافعاً للتشكيك أو الإنكار، ولكن قد يكون دافعاً بالعكس، للتفويض المطلق لله عزّ وجلّ الذي هو أوضح معالم الإيمان الراسخ؛ إذ الإيمانُ بعد العلم والمعرفة التفصيلية أمرٌ واضحٌ بخلاف الإيمان حتى مع الجهل والغموض فإنّه إيمانٌ شديدُ الرسوخ؛ لتقومه بالتفويض المطلق، فلأجل أنْ يمدح الله تعالى المتقين وقوة إيمانهم وصفهم بهذه الصفة بأنّ المتقين مع جهلهم بالغَيْب لكنهم يُؤمنون به أشد الإيمان، وقد رسخ في قلوبهم أشد الرسوخ، لذلك أراد أنْ يمدحهم من هذه الجهة وهي أنّ إيمانهم لا يتوقّف على معرفتهم؛ بل إيمانهم بالغَيْب على ما هو غَيْبٌ فقال تبارك وتعالى: **{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ}** [سورة البقرة، 3].

والمتحصل: أنّ الإيمان يمكن تعلّقه بالغَيْب وإنْ كان مجهولاً، وذلك لوجوهٍ:

الوجهُ الأوّل: كفايةُ المعرفة الإجمالية.

الوجهُ الثاني: لا يعقل تعلّق الإيمان بشيءٍ ما لَمْ يكن حاضراً في النفس وكان العلم به علماً حضورياً لكون الإيمان مِن الصفات النفسية التعلقية التي لا توجد إلّا مضافة لشيء، فلا يضر الجهل بالصورة مع حضور ذيها في أفق النفس.

الوجهُ الثالث: أنْ كون متعلّق الإيمان غيباً مِن عوامل قوة الإيمان لا أنّه مما يمتنع اجتماعهما.

والحمد لله رب العالمين